رابعاً: لماذا لا نقبل النصيحة ؟

رابعاً : لماذا لا نقبل النصيحة ؟

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ فَقَالَ أَلَا تُصَلُّونَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا][1]

قال الحافظ :

وَفِيهِ أَنَّ الْإِنْسَان طُبِعَ عَلَى الدِّفَاع عَنْ نَفْسه بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل , وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُجَاهِد نَفْسه أَنْ يَقْبَل النَّصِيحَة وَلَوْ كَانَتْ فِي غَيْر وَاجِب .اهـ.

[illegible]][2]

فلا تثريب على الإنسان أن يكون بطبعه يحب أن يمدح، أو على أقل تقدير لا يحب أن يذم؛ وذلك لأن في النقد نسبة الخطأ إلى الإنسان، وكذلك الذم فيه نسبة الخطأ إليه، والخطأ مكروه فطرة، فكل إنسان بفطرته يكره أن يخطئ، ويحب أن يصيب دائمًا.

---

[1] [متفق عليه] أخرجه (البخاري / 1127) ، و(مسلم / 1127) من حديث على بن أبي طالب .

[2] [صحيح] أخرجه (مسلم / 2642) من حديث أبي ذر .

ولكن ما دام أن الخطأ مكتوب على الإنسان لا محالة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ مَسْعَدَةَ عَنْ قَتَادَةَ]**[3]، فما دمت لا يمكن أن تنفك عن الخطأ فإن المؤمن يفضّل أن يكاشف بالخطأ الآن ويبيَّن له، فهذا أحب إليه من السكوت، الذي تكون عقوبته سوءًا عليه في الدنيا والآخرة.

إنه يدري أن ثمة اعترافاً سوف يكون منه في الدار الآخرة بالأخطاء كلها، والمنافقون والمشركون والكفار كلهم سوف يعترفون بأخطائهم يوم القيامة اضطراراً: **(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [النور:24] **(وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ)** [فصلت:22]، فهو اعتراف مفضوح لابد لهم منه.

لذلك يقول الأشهاد يوم القيامة: **(هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)** [هود:18] فيعترفون بالخطأ؛ بل يفضحون بالخطأ فضحا على رؤوس الأشهاد بعدما كانوا ينكرونه، ويقولون: **(وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)** [الأنعام:23] ويقولون كما قال الله عز وجل: **(يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ)** [المجادلة:18]، فيُفضحون على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

---

[3] [حسن] أخرجه (الترمذي / 2499) من حديث أنس ، وحسنه الشيخ الألباني في (المشكاة / ح 2341) .

أما المؤمن، فلأنه كان يعترف بخطئه في الدنيا، ويرجع عنه قريبًا ويحب أن يبيّن له؛ فإن الله تعالى يستره في الدار الآخرة، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم – فِي النَّجْوَى [يُدْنو الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ قَالَ فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ][4]

وما دام أن الخطأ لابد منه، فإن قبول النصح من الكمال البشري ، وإذا كان النقص مركبًا فيه وهو جزء من طبيعته، فمن الكمال أن يعرف هذا النقص، ويعمل على تلافيه.

مثال: شخصان كلاهما ناقص؛ لأن كلاً منهما بشر، فمعناه أن النقص موجود في الشخص الأول، وموجود في الشخص الثاني ولابد ، لكن الشخص الأول مصرّ لا يعترف بالنقص؛ بل ينكره، أو يعرفه ولكنه لا يعترف به، ولا حتى أمام نفسه، فهو يغالط نفسه ودائماً يدَّعي الكمال، فهذا الشخص عنده نقص من جهتين:

الجهة الأولى: النقص الفطري الموجود فيه،
والجهة الثانية: إصراره على الخطأ، وعدم اعترافه به.

---

[4] [متفق عليه] أخرجه (البخاري / 2441) ، و(مسلم / 2768) من حديث ابن عمر .

وأما الشخص الآخر، فعنده النقص الفطري الموجود في البشر جميعًا، ولكنه يعرف هذا النقص، ويعترف به، ويسعى إلى معالجته، فهذا -لاشك- أكمل وأعظم؛ لأن نقصه من جهة واحدة فقط، وهو النقص الأصلي الفطري، وله في مقابل هذا النقص كمال، وهو الشجاعة، والقدرة على الاعتراف، وكذلك العلم بهذا النقص، والعمل على إزالته.

أسباب الخوف من النصح:

أولاً: نجد كثيرًا من الناس يخافون من النصح؛ لأنهم يعدّون النصح نوعًا من التنقص، والبحث عن العيوب، وأنه لا يصدر إلا من حاسد، أو حاقد، وهذا المفهوم يجب تغييره، وأن يفهم الناس أن الذي ينصحك هو من يحبك؛ لأن صديقك من صدَقك لا من صدَّقك.

ثانيًا: ومنهم من يخاف من النصح لأن بيته من زجاج، فهو يحارب النصح ، تجنبًا للفضيحة، وسترًا على الهفوات والجرائم التي ارتكبها، سواء أكان هذا النصح في ذاته أو في جرائمه ؛ لأنه يعرف أن بناءه من زجاج، وأنه عرضة للفضيحة في أي وقت، ولذلك يعدّ النصح قضاء على مصالحه .

فهو إن كان حاكمًا عدّ النصح تشكيكًا للشعوب في جدارته وصلاحيته، وإن كان عالمـًا عدّ النصح تشكيكًا للطلاب في علمه وفضله، وإن كان داعية عدّ النصح تشكيكًا للأتباع والمريدين في جدارته وصلاحيته وهكذا.

أما النبلاء والفضلاء و العلماء فلم يزالوا يستدلون على جدارة الشخص وعظمته ورجولته وكماله، بقدرته على الاعتراف بالخطأ والنقص، وقدرته أيضًا على التراجع عن ذلك بكل أريحية وسرور نفس وبدون أية حساسية، كما يستدلون على سفاهة إنسان بإصراره على الخطأ، ورفضه الاعتراف به.

إن آدم وحواء عليهما السلام، وقعا في الخطأ وأكلا من الشجرة، لكن بعد الخطأ: **(قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [الأعراف: 23]، ولذلك استحقا الرحمة، فرحمهما الله عز وجل وجعل مآلهما إلى الجنة، وفي مقابل ذلك فإن إبليس عصى الله تعالى ورفض السجود لآدم و**(قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)** [الأعراف:12]، فأصابه الكبرياء والغرور؛ ولذلك رفض السجود، فعاقبه الله عز وجل بقوله: **(فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ.وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)** [الحجر: 34،35].

وكما أن لآدم ذرية، فلإبليس أيضًا أتباع وذرية، فمن الناس من يفعل الخطأ فيندم ويستغفر، ويقول: **(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)** [القصص:16].

ومنهم من يفعل الخطأ ثم يستمـرئه ويعجب به؛ بل يتحول إلى إنسان يبحث عن مخرج أو تصحيح يفلسف به هذا الخطأ؛ حتى يصبح هذا الخطأ صوابًا!

حتى إن بعض دول العالم اليوم أصبحت تبحث بحثًا جادّ
ًا -كما يقولون- عن إعادة تعريف الجريمة؛ لقد وجدوا مثلاً أن الجرائم كثرت واشتهرت، فقالوا: إذن لابد أن نعيد النظر في تعريف الجرائم، فنبحث مثلاً عن الزنا هل هو جريمة؟! واللواط هل هو جريمة؟! كل هذه الأشياء أصبحوا يبحثون عن تعريف جديد لها؛ لإخراج هذه الأشياء أو بعضها من دائرة الجرائم؛ لأن السجون عندهم امتلأت، ولم يعد في إمكانهم أن يضعوا فيها أحدًا أكثر من ذلك: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)** [طه: 124].

ومن المسلمين اليوم من يلوي أعناق النصوص، أو يبحث عن فُتيا أو رأي شاذ يدعم به خطأ وقع فيه.

وما أجمل أن يقول الإنسان: أنا أخطأت، وأسأل الله أن يغفر لي ويتوب علي .

طرق يمارسها البعض للهروب من الأخطاء

نحن نمارس - في بعض الأحيان - هروبًا من الأخطاء بطرائق مختلفة؛ لأننا لا نريد النصح ولا نحبه. ومن ذلك:

الطريقة الأولى:

أن نحيل إلى الصدفة، ونتجاهل السنن الكونية، فإذا وقعنا في خطأ أحلنا ذلك على الصدفة، أو على ظروف طارئة! ونسينا دورنا نحن في هذا الخطأ، ونسينا قول الله تعالى: **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)** [فصلت:46]، ونسينا قول الله تعالى: **(فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)** [الشورى:30]، وقول الله عز وجل: **(قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)** [آل عمران: 165].

الطريقة الثانية:

تجاهل الخطأ والتقليل من شأنه وتبريره، أو حتى اعتباره صوابًا، فلا نعترف أن هذا خطأ؛ بل نقول إنه صواب ونصرّ عليه.

الطريقة الثالثة:

هي الإحالة إلى القضاء والقدر، ونحن نعرف أن القضاء والقدر والاحتجاج به لم يُعفِ أبانا آدم عليه السلام من الاعتراف بخطئه: **(قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [الأعراف:23] .

الطريقة الرابعة:

هي أن نلقي باللوم على الآخرين، ونخرج نحن من دائرة المسؤولية .

الطريقة الخامسة:

تفسير الخطأ تفسيرًا هروبيًّا، وذلك كمن يفسر الفشل بأنه ابتلاء من الله تعالى، ويسوق الآيات الواردة في الابتلاء والاختبار، ولا يقول: ما سبب ما حصل؟! هل سببه خطأ مني، أم تقصير في اتخاذ الأسباب مثلاً؟ وكمن يفسر العجز بأنه نوع من الصبر، وكمن يفسر الجبن مثلاً بأنه نوع من الحكمة، وهكذا.